

هذه النظرة أدت بهم إلى أخطاء جسيمة كإصدار أحكام عامة على الحضارة الإسلامية بالجدب ، وعلى الدين بالجمود ، وعلى الوحي بالاضطراب والاختلاط وعلى التوحيد بالتجريد، وعلى العقائد بالقضاء والقدر وعلى الشعوب بالتخلف^(١)

٣ - المنهج الإسقاطي :

منهج التصورات والانطباعات الزائفة عن موضوع البحث ، والتي تنشأ من خضوع المستشرق لهواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها بيئته لديه بيئته الثقافية المعينة - مع أن التحرر من الأحكام المسبقة العقلية والانفعالية معا هو الشرط الأول للبحث العلمي - .

هذه الانطباعات والتصورات والأحكام المسبقة تؤدي بالباحث - المستشرق - إلى أخطاء جسيمة : فالظاهرة الموجودة بالفعل بما أنها لا توجد كصورة عقلية في ذهنه فإنه يحكم عليها بالنفي . والظاهرة التي لا وجود لها بالفعل ولكنها توجد كصورة ذهنية عند المستشرق فإنه يحكم عليها بالوجود الفعلي^(٢) .

ومعنى هذا أن أصحاب هذا المنهج من المستشرقين : يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ، ثم يقومون لها بجمع معلومات من كل رطب ويابس ... وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التعمية بكل جراءة ، وينون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم^(٣) .

وطبقاً لهذا المنهج فإن الباحث يصدر أحكاماً قيمة يعلى فيها من شأن الصور الموجودة في ذهنه، ويقلل من شأن الموضوعات المدركة بالفعل .

وتطبيق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية فإن المستشرق يسقط تصوره للمسيحية على الإسلام، فتصبح المسيحية المتصورة هي الإسلام في الواقع، والإسلام الحقيقي منفي ، فلا وجود له ، كأن يسمى الإسلام بالمحمدية كما تنسب المسيحية للمسيح ، والبوذية لبوذا ، وكثيراً ما يتحدث المستشرقون على الكنيسة الإسلامية أو السلطة الدينية وعلاقتها بالدولة ، أو اتهام التوحيد الإسلامي بأنه تجريد خالص ، والحكم على التنزيه بأنه تجريد إسقاط من التجسيم والتشبيه الذي تعج بهما اليهودية والنصرانية

١ - د حسن حنفي : السابق ص ١٠٠ - ١٠١ . ٢ - د. حسن حنفي . السابق ١٠١ .
٣ - أبو الحسن الندوي . الإسلام والمستشرقون ص ٢٠ ط ندوة العلماء لکنهو . الهند ، وأنظر د. محمد الدسوقي : الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي ص ١٠٨ الكتاب الدوري لقسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة . العدد الأول ١٤١٣ هـ .